رابعاً

كيفية الذكر

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن كل ما يثمر تَذكُّر المولى عز وجل واستحضار عظمته وجلاله، وربط العقل والقلب بالله عز وجل هو ذكر لله تعالى..

فتلاوة القرآن ذكر، والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ ذكر، والأوراد والوظائف اليومية التي يقوم بها السالكون في مختلف مدارس الذكر من المنتسبين للتصوف الشرعي هي ذكر أيضاً، ومع ذلك يمكن أن نحدد طريقتين رئيسيتين للذكر: الذكر العام والذكر الخاص.

أ- الذكر العام:

وهو مطلوب من كل مسلم بالغ راشد عاقل، باللسان أو بالقلب أو بهما معاً، أي ذكرٌ باللسان مع الحضور والمراقبة بالقلب، وفهم المعاني والمقاصد بالعقل، ويشتمل الذكر العام على تلاوة القرآن والاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء على الله تعالى بما هو أهله وغير ذلك.. بأي صيغة شرعية أو كما وردت عن النبي ﷺ.

والذكر العام هو ذكرك الله تعالى على كل حال، أي ماشياً أو قاعداً أو قائماً أو مضطجعاً، في السفر والحضر، والليل والنهار، والصباح والمساء، في الصحة والمرض، والمنشط والمكره، والسر والعلانية. كما قال الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران]. وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

ومطلوب من المسلم أن يملأ أوقاته بهذا الذكر ما أمكنه ذلك، **كما ورد عن النبي** ﷺ أَنَّ رَجُلاً قال يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قد كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ **قال**: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا من ذِكْرِ اللَّهِ»[1].

أنواع الذكر العام:

أولاً: ذكر النفس وذكر الجهر:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف]. **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «يقول الله تَعَالَى أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلأ ذَكَرْتُهُ في مَلأ خَيْرٍ منهم وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي شبرا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعاً وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إليه بَاعاً وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[2] . فذكر النفس هو ذكر القلب، وذكر الجهر هو ذكر اللسان.

* * * * *

(١) أخرجه الترمذي، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ (٥/٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٦٩٤) .

ثانياً: الذكر المقيد والذكر المطلق:

فالذكر المقيد: ما ارتبط بمكان أو زمان خاص، كالأذكار الواردة عن النبيﷺ في الحج أو عقب الصلاة أو أذكار الصباح والمساء أو أذكار ما قبل النوم والاستيقاظ والأكل ...الخ.

وهناك شواهد كثيرة من الأحاديث النبوية الشريفة على هذا النوع منها:

الحديث الأول: عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان النبي ﷺإذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ قال: (بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وإذا قام قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَحْيَانَا بَعْدَ ما أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [(١)].

الحديث الثاني: عن أُمِّ سَلَمَة رضي الله عنها قالت: (ما خرج رسولُ الله ﷺ من بيته قَطُّ إلا رَفَعَ طرْفَهُ إلى السماءِ، فقال: اللهمَّ إني أعوذُ بكَ أن أضلَّ أو أُضلَّ، أو أزلَّ أو أُزلَّ، أو أظلِمَ أو أُظلَم، أو أجهلَ أو يُجهلَ عليَّ)[(٢)].

الحديث الثالث: عن أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ (إذا وَلَجَ الرَّجُلُ في بَيْتِهِ فَلْيَقُلْ اللهم إني أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا ثُمَّ لِيُسَلِّمْ على أَهْلِهِ) [(٣)].

الحديث الرابع: عن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قال أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللهم اجْعَلْنِي من التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي من الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِحَتْ له ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ من أَيِّهَا شَاءَ)[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٢٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٤/٣٢٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٤/٣٢٥).
(٤) أخرجه الترمذي (١/٧٨).

الحديث الخامس: عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَقَامَ النبي ﷺ من اللَّيْلِ فَأَتَى حَاجَتَهُ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قام فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بين الْوُضُوءَيْنِ ولم يُكْثِرْ وقد أَبْلَغَ ثُمَّ قام فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كنت أَنْتَبِهُ له فَتَوَضَّأْتُ فَقَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ عن يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عن يَمِينِهِ فَتَتَامَّتْ صَلاةُ رسول اللَّهِ ﷺ من اللَّيْلِ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حتى نَفَخَ وكان إذا نَامَ نَفَخَ فَأَتَاهُ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاةِ فَقَامَ فَصَلَّى ولم يَتَوَضَّأْ وكان في دُعَائِهِ: (اللهم اجْعَلْ في قَلْبِي نُورًا وفي بَصَرِي نُورًا وفي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لي نُورًا) [(١)].

الحديث السادس: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (إذا دخل أحدكم الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلِ اللهم افْتَحْ لي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وإذا خَرَجَ فَلْيَقُلِ اللهم إني أَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ)[(٢)] .

الحديث السابع: عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (إذا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يقول الْمُؤَذِّنُ) [(٣)].

الحديث الثامن: عن سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ ﷺ عن رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: (من قال حين يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلامِ دِيناً غُفِرَ له ذَنْبُهُ) [(٤)].

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٢٧).
(٢) أخرجه مسلم (١/٤٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (١/٢٢١).
(٤) أخرجه مسلم (١/٢٩٠).

الحديث التاسع: عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (من قال حين يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللهم رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الذي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ له شَفَاعَتِي يوم الْقِيَامَةِ) [1].

الحديث العاشر: عن الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ (كان يقول في دُبُرِ كل صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهم لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) [2].

الحديث الحادي عشر: عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن رسول اللَّهِ ﷺ: (من سَبَّحَ اللَّهَ في دُبُرِ كل صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وقال تَمَامَ الْمِائَةِ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)[3] .

الحديث الثاني عشر: عن ثَوْبَانَ ﷺ قال: (كان رسول اللَّهِ ﷺ إذا انْصَرَفَ من صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا وقال اللهم أنت السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ) [4].

الحديث الثالث عشر: عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ ﷺ عن النبي ﷺ سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللهم أنت رَبِّي لا إِلَهَ إلا أنت خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ أَبُوءُ لك بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ

(١) أخرجه البخاري (١/٢٢٢).
(٢) أخرجه البخاري (١/٢٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (١/٤١٨).
(٤) أخرجه مسلم (١/٤١٤).

وَأَبُوءُ لك بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لي فإنه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنت قال وَمَنْ قَالَهَا من النَّهَارِ مُوقِنًا بها فَمَاتَ من يَوْمِهِ قبل أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا من اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها فَمَاتَ قبل أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ (١).

والذكر المطلق: هو الذي لم يرتبط بزمان أو مكان معين، وقد دعانا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم، إلى ذكره على كل حال، ومن هذه الآيات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [سورة البقرة].

﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] .

كما دعانا رسول الله ﷺ إلى الذكر مطلقاً في أحاديث كثيرة منها:

الحديث الأول: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (أَيَعْجِزُ أحدكم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ من جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ قال يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ أو يُحَطُّ عنه أَلْفُ خَطِيئَةٍ) (٢).

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/٥٥٦).

الحديث الثاني: قال ﷺ: (من قال لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ له مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عنه مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ له حِرْزًا من الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذلك حتى يُمْسِيَ ولم يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جاء بِهِ إلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ من ذلك) (١).

الحديث الثالث: عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ (ألا أَدُلُّكَ على كَلِمَةٍ من كَنْزٍ من كُنُوزِ الْجَنَّةِ) قلت: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ فِدَاكَ أبي وَأُمِّي قال: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ) (٢).

الحديث الرابع: قال ﷺ : (لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ولا إِلَهَ إلا الله وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إلي مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ) (٣).

الحديث الخامس: قال ﷺ : (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ في الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرحمن سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) (٤) .

الحديث السادس: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إلا الله وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) (٥)

(١) أخرجه البخاري (١١٩٨/٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٥٤١/٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٧٢/٤).
(٤) أخرجه البخاري (٢٣٥٢/٥).
(٥) أخرجه الترمذي (٤٦٢/٥).

الحديث السابع: عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (من قال رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَبِالإِسْلامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولا وَجَبَتْ له الْجَنَّةُ)[1]

* * * * *

ثالثاً : ويمكن أن يكون الذكر العام باللسان أو القلب أو بكليهما معاً:

قول

قال الإمام النووي رحمه الله: (الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان معاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يُترَك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظَنّ به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله تعالى) [2].

قول

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله : (واعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذِّكرَ أفضل الأعمال، ولكن له أيضاً قشور ثلاثة بعضها أقرب للبّ من بعض، وله لب وراء القشور الثلاثة، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً أقرب، فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط، والثاني ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولو تُرِك وطَبْعهُ لاسترسل في أودية الأفكار، والثالث أن يستمكن الذكرُ من القلب، ويستولي عليه بحيث يحتاج إلى تكلُّف في صَرْفه عنه إلى غيره، كما احتيج في الثاني إلى تكلُّفٍ في قراره معه ودوامه عليه، والرابع وهو اللباب؛ أن يستمكن المذكور

(١) أخرجه أبو داود (٢/٨٧).

(٢) الأذكار للنووي ص٢٣.

من القلب وينمحي الذكر ويخفى، وهو اللباب المطلوب، وذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر ولا إلى القلب، بل يستغرق المذكور جملته، ومهما ظهر له في أثناء ذلك التفات إلى الذكر فذلك حجاب شاغل، وهذه الحالة التي يُعبِّر عنها العارفون بالفناء، ثم قال رحمه الله: فهذه ثمرة لباب الذكر، وإنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلُّفاً، ثم ذكر القلب طبعاً، ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر)[1].

ب. الذكر الخاص:

وهو طريقة الذكر التي يُلقنها الشيخ لتلامذته من المريدين السالكين في مدرسة الذكر، ويكلِّفهم تأديته على شكل وظيفة يومية صباحاً ومساءً مجتمعين أو منفردين، وهو ما اصطلح عليه أهل التصوف بـ(الوِرْد اليومي)، ويمكن أن يكون هذا الذكر جهراً أو سراً، أو يكون بعضه جهراً وبعضه سراً، ويتنوع بين الاستغفار والتسبيح والصلاة على النبي ﷺ والتهليل (لا إله إلا الله) أو تلاوة سور وآيات من القرآن الكريم، أو الذكر بلفظ الجلالة الاسم المفرد (الله- الله)[2]، ولكل طريقة صوفية وِرْد مخصوص على شكل

(١) الأربعين في الأصول للإمام الغزالي ص٥٩، ٦٣.

(٢) هناك من يسأل عن مشروعية ذكر الله تعالى بلفظ الجلالة (الله- الله) والجواب: قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾[سورة الإنسان]. وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [سورة المزمل].

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: "الله- الله"**)، **وقال العلامة المناوي** في شرحه للحديث في فيض القدير ج٢/ص٣٩٢: "إن الله تعالى يقول: (**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**)، فهو مع من يذكره بقلبه، ومع من يذكره بلسانه، لكن معيته مع

مخصوص...ويمكن في الطريقة النقشبندية أن يكون الذكر بلفظ الجلالة (الله – الله) أو بذكر لفظ الجلالة بصيغة الطلب والرجاء والاستغاثة (يا الله – يا الله) أو أي اسم من أسمائه الحسنى أو صفاته العليا مثل: (يا رحيم – يا رحيم ... يا ودود- يا ودود ...يا مغيث – يا مغيث يا غفور – يا غفور ...يا كريم – يا كريم) . والغاية المنشودة هي حقيقة الذكر وتتمثل بحصول الطمأنينة في القلب والحضور واستصحاب شهود الذاكر أنه بين يدي الله ﷻ وانعكاس ذلك على سلوكه وأعماله.

قول

يقول ابن عطاء الله السكندري : (الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق. وقيل: ترديد اسم الله بالقلب واللسان أو ترديد صفة من صفاته ، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى) [1].

الذكر القلبي أتم، وخص اللسان لإفهامه دخول الأعلى بالأولى، لكن محبته وذكره لما استولى على قلبه وروحه ، صار معه وجليسه، ولزوم الذكر عند أهل الطريق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى، وهو ثلاثة أقسام: ذكر العوام باللسان، وذكر الخواص بالقلب، وذكر خواص الخواص بفنائهم عن ذكرهم عند مشاهدتهم مذكورهم، حتى يكون الحق مشهوداً لهم في كل حال. قالوا: (وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيار، وهو – الله –، وقد ورد في حقيقة الذكر وآثاره وتجلياته ما لا يفهمه إلا أهل الذوق"...

وقد قال بجواز الذكر بلفظ الجلالة أئمة منهم: الإمام الجنيد والإمام الطحاوي وابن عابدين والملا علي القاري وابن عجيبة وغيرهم.

(١) مفتاح الفلاح لابن عطاء السكندري ص ٧ .

هذا ويجب أن نعيد النظر في صيغ الأوراد، فما كان منها موافقاً للشرع نأخذ به وما كان مخالفاً نتركه أو نصححه إذا كان قابلاً للتصحيح، ويجب ألّا تسيطر علينا العادات والتقاليد دون تمحيصها أو التفكير فيها ونغلق عقولنا وأفهامنا ونردد بلسان الحال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الزخرف]، أو ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الشعراء]. فالأخذ عمن سلف أو عمن كان شاهداً وحاضراً يجب أن يكون منضبطاً بضوابط الشرع.

انتبه

ويجب أن نلاحظ أن الذكر الخاص لا يعفي المريدين من لزوم تعاهُد القرآن الكريم، بالتلاوة والتدبر والعلم والعمل، كما لا يعفيهم من الذكر العام، وبخاصة الأوراد والأذكار التي أمرنا بها النبي ﷺ كما بَيَّنا سابقاً.

وإنما جُعلِت الأذكار والأوراد الخاصة للمريدين، إضافة إلى الذكر العام لغايات جليلة منها:

١-زيادة تخصصهم بالذكر وتقربهم إلى الله تعالى.

٢- تزكية نفوسهم وترقية أرواحهم، وتنوير قلوبهم.

٣- لتكون مفتاحاً لأبواب التجليات الإلهية والنفحات الربانية ليصبحوا من خواص الأولياء المقربين والمحبين والمحبوبين.

٤- ليقوموا بواجب الدعوة إلى الله، والتعريف بجناب الله، وهداية الخلق ودلالتهم على الله، وتسليكهم في مدارس ذكر الله، ليتذوقوا حلاوة الإيمان ولذة محبة الله وقربه جل وعلا...

* * * * *